الفصل التمهيدي

النظم الاقتصاديـــة

ويشمل المباحث الآتية:

المبحث الأول: النظام الاقتصادي الرأسمالي.

المبحث الثاني: النظام الاقتصادي الاشتراكي.

المبحث الثالث: النظام الاقتصادي الإسلامي.

المبحث الأول

النظام الاقتصادي الرأسمالي واقتصاد السوق

أولاً- نشوء المذهب الرأسمالي:

١- في القرن الخامس ميلادي سقطت الدولة البيزنطية، ودخلت أوروبا عصر الإقطاع، وعاشت عصورها المظلمة حتى القرن الخامس عشر الميلادي، وقد اتسمت العصور الوسطى بالتخلف الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، وانقسمت أوروبا إلى مقاطعات صغيرة، كل منها يمثل وحدة اقتصادية مستقلة، تقوم على أساس الاكتفاء الذاتي، وتتبع سياسياً للإمبراطور اسماً، وللإقطاعي فعلاً.

ويقوم نظام كل مقاطعة على تقسيم الأرض بين السيد والفلاحين، ويعمل الفلاحون في أرض السيد بدون أجر (نظام السُخرة). ويعملون في قسمهم نظير دفع جزء من المحصول للسيد مقابل الحماية، وقد أصبح الفلاحون بمثابة العبيد (رقيق الأرض) ينتقلون مع الأرض إذا انتقلت ملكيتها من سيد إلى آخر، وكأنهم آلات تعمل، أو جمادات تباع وتشترى[١].

ثانياً- موقف الكنيسة الأوروبية:

إلى جانب نظام الإقطاع، وقفت الكنيسة موقف المساندة للإقطاعيين والإقطاع وزعمت أنها المؤسسة الدينية التي تنطق باسم الإله، وهي أبعد ما تكون عن الشريعة والمبادئ التي جاء بها عيسى عليه الصلاة والسلام، وشرعت من الإحكام والمبادئ ما يتنافى مع شريعة الله، وكان الخروج على مبادئها يعدُّ كفراً وإلحاداً وانحرافاً[٢].

---

(١) الاقتصاد الإسلامي، حسن سري، ص٦٨.

(٢) الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة، يوسف كمال ص١٥ فما بعد، وعلم الاقتصاد والمذاهب الاقتصادية، د. مصطفى العبد الله الكفري ود. صالح العلي ص١٤٨ فما بعد.

ثالثاً– الآثار التي نجمت عن الإقطاع ونفوذ الكنيسة:

١– التخلف الاقتصادي والسياسي والاجتماعي.

٢– إهمال المرافق والخدمات العامة.

٣– الكساد التجاري والانكماش الاقتصادي.

٤– ظهور نظام الحرفيين والطوائف.

رابعاً– ظهور النظام الرأسمالي ومساوئه:

نقم الأوروبيون على الكنيسة والدين، لأن هذه المؤسسة كانت تقف حجرة عثرة في سبيل تقدمهم، وكانت سيفاً مسلطاً على رقاب العلماء والمفكرين، وقد أدى هذا الموقف العدائي إلى الفصل بين الدين والمادة، فظهرت الرأسمالية منفصلة تماماً عن الجانب الروحي والأخلاقي، وكان لذلك أثره البالغ في الحياة الاقتصادية.

١– أطلق الأوروبيون لأنفسهم العنان في المجال الاقتصادي، وظهرت الحرية المطلقة، حرية التملك، وحرية الإنتاج، وحرية الاستهلاك.

٢– انقسم المجتمع إلى طبقتين: طبقة الممولين، وطبقة العمال والفلاحين.

٣– انتشرت الوسائل غير المشروعة في الكسب، وفي مقدمتها (الربا).

٤– عانى العمال والفلاحون من سيطرة أصحاب رؤوس الأموال، وظهرت البطالة.

٥– قلت الأجور بالقدر الذي لا يسمح بالحد الأدنى من العيش.

٦– انعدمت روح التعاطف والمساواة بين الناس[1].

---

(١) الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة، يوسف كمال ص٣٥ فما بعد والاقتصاد الإسلامي، حسن سري، ص٦٨ فما بعد، الاقتصاد وأنظمته وقواعده وأسسه في ضوء الإسلام، عدنان سعيد أحمد حسنين ص١٥.

خامساً– أيدلوجية النظام الرأسمالي:

١– إن قيم الفرد هي القيم المسيطرة.

٢– والقيم التي تلتزم بها الدولة تعكس قيم الأفراد.

٣– للفرد حق التملك والتصرف بشرط أن يكون رشيداً.

٤– حرية اختيار العمل واختيار الموارد.

٥– أداة التوازن هي السوق.

٦– الملكية مطلقة لا قيود عليها، حيث أباحوا الربا والتدليس والرشوة والمغامرة بالأوراق المالية وبأسعار الحاصلات الزراعية الهامة في الأسواق والاحتكار في الإنتاج الزراعي أو السلع الضرورية[١].

٧– وبصفة عامة العلاقة مع الله غير واردة في التحليل الاقتصادي وفي الممارسة على السواء.

٨– فصل الكنيسة عن الدولة هو الأساس.

٩– تفضيلات الفرد هي التفضيلات «أي الرغبات المصحوبة بإرادة التنفيذ».

وأخيراً باسم الحرية الاقتصادية انضم بعضهم إلى بعض وكونوا مؤسسات ضخمة تجنبهم مخاطر المنافسة وتضمن لهم البقاء والسيطرة وتوجيه عوامل الإنتاج بالوجه التي يريدونها.

❁ ❁ ❁

(١) مقومات الاقتصاد الإسلامي، عبد السميع المصري ص١٨٩.

المبحث الثاني

النظام الاقتصادي الاشتراكي «الشيوعي»

أولاً- الأساس العقدي للاشتراكية:

يعلي ماركس من شأن المادة، ويعتبرها أصل الحياة، والمحرك الأول لها، فأعطى قوة الإنتاج خاصية التطور «الديالكتيكي» الذاتي، فهي قاموس الكون كله، وأعطاها حتمية معناها ضرورة سيادتها، وأن معارضتها لن توقفها، ولن تكون إلا تعبيراً عن الجهل، وسمى إطاعة هذه القوانين «وعي الضرورة».

ومن أسس الماركسية اللينينية «أنها لا تعترف بوجود أي قوة أو خالق فيما وراء الطبيعة «لا إله والكون مادة».

وإنها ترتكز بوضوح على الحقيقة، حقيقة العالم الذي نعيش فيه إنها تحرر الإنسان من الخرافة، ومن عبودية الروحانية القديمة[1] يقول العقاد رحمه الله:

رأيت أناساً يبطلون الأديان في العصر الحديث باسم الفلسفة المادية، فإذا بهم يستعيرون من الدين كل خاصة من خواصه، ولا يستغنون عما فيه من عناصر الإيمان والاعتقاد التي لا سند لها غير مجرد التصديق والشعور، ثم يجردونه من قوته التي يبثها في أعماق النفس، لأنهم اصطنعوه اصطناعاً، ولم يرجعوا به إلى مصدره الأصيل[2].

ثانياً- نشوء المذهب الاشتراكي:

يعد ظهور المذهب الاشتراكي رد فعل لمساوئ المذهب الرأسمالي، وانتقاماً لطبقة الفقراء من الرأسماليين المستغلين.

وقد قام هذا المذهب على الأسس والمبادئ الآتية:

---

(١) الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة، يوسف كمال ٥٩-٦١.

(٢) الفلسفة القرآنية، عباس محمود العقاد ص١٢-١٣.

١- القضاء على الفوارق والطبقات وسيادة طبقات العمال.

٢- إلغاء الملكية الخاصة للأفراد.

٣- فرص الكسب الخاصة والإرث من الوسائل غير المشروعة للتملك.

٤- الأرض ملك للأمة، لا يجوز توريثها، أو توزيعها، أو تملكها للأفراد.

٥- تأمين المؤسسات والشركات وجميع الممتلكات وجعلها ملكاً للأمة[١].

ثالثاً- مساوئ المذهب الاشتراكي:

حاول الفلاسفة الاشتراكيين أن يعالجوا الجوانب السلبية للمذهب الرأسمالي فوضعوا تلك الأسس والمبادئ، وفي اعتقادهم أنهم سيسدون تلك الفجوات التي ظهرت في النظم الرأسمالية، ولكنهم فشلوا بدورهم، لأنهم حادوا عن الشرائع السماوية.

ومن مساوئ هذا المذهب ما يلي:

١- يعد المذهب الاشتراكي مناقضاً للفطرة الإنسانية والرغبة في التملك.

٢- خلق الله البشر متفاوتين في القوى الجسدية والعقلية والمواهب، ومن ثم ينبغي أن يتفاوتوا في الكسب والإنتاج والتملك.

٣- لا يعمر الكون بدون تفاوت بين البشر، وإلى هذا أشار سبحانه: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾[٣].

---

(١) الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة، يوسف كمال ص٩٠ فما بعد، والاقتصاد الإسلامي، حسن سري ص٧٠.

(٢) الزخرف، آية: ٣٢.

(٣) النحل، آية: ٧١.

٤- يؤدي النظام الاشتراكي إلى تحديد الجهد الذاتي، وقلة النشاط والإنتاج وعدم الإتقان، ويوقف الطموح لانعدام الحافز المادي، والتسوية بين الناس في الأجور.

٥- يلغي العبقريات والمواهب، ويحول بين الإنسان والإبداع والابتكار[١].

وأخيراً استطيع أن أقول: إن كلا النظامين الاشتراكي والرأسمالي فشلا في القضاء على المشكلات الاقتصادية للأسباب الآتية:

١- كل من النظامين انفصل عن الدين والقيم الأخلاقية والروحية.

٢- الظلم الاجتماعي واقع من النظامين، فالرأسمالية ظلمت الفقراء، والاشتراكية ظلمت الأفراد.

رابعاً- إيديولوجية النظام الاشتراكي:

تتلخص أيديولوجية هذا النظام بما يلي:

١- القيم المسيطرة هي قيم الحكومة، باعتبارها مؤسسة من مؤسسات السلطة التي تواجهها الفئات المسيطرة في النظام الاجتماعي والسياسي.

٢- الملكية للحكومة.

٣- الحرية المتاحة هي حرية الحكومة في تحديد الأهداف المخططة.

٤- القوة السياسية التي تحدد العلاقة بين البشر، والتي تضع الحقوق والواجبات في المجتمع هي نفس القوة الاقتصادية.

٥- التفضيلات الفعالة تقتصر على تفضيلات الحكومة التي تحد من الفرص المتاحة للأفراد بالنسبة للتملك.

٦- أداة التوازن هي الجهة المركزية.

٧- العلاقة مع الله في هذا النظام غير واردة[٢].

---

(١) الاقتصاد الإسلامي، حسن سري ص٧١.

(٢) الموسوعة العلمية والعملية للبنوك الإسلامية، الاستثمار، الجزء السادس ص٧٩. والاقتصاد في ضوء الإسلام، عدنان سعيد أحمد حسنين ص١١.

المبحث الثالث

النظام الاقتصادي الإسلامي

تتلخص أيدلوجية هذا النظام بما يلي:

١- القيم المسيطرة هي تلك المستمدة من الشريعة الإسلامية.

٢- قيم الدولة تتفق مع قيم الأفراد في حدود شريعة الله.

٣- مبدأ الحلال والحرام وارد في كل التصرفات.

٤- دمج القيم الروحية مع القيم المادية، فمفهوم البعث والحساب عبر الدنيا وفي الآخرة -كحقيقة دينية- تجعل لأداة الحلال والحرام معنىً ووجوداً واقعياً، فالاستهلاك مثلاً: لابد أن يتم في حدود الحلال والحرام، فلا يحل أكل لحم الخنزير أو شرب الخمر، ولا يجوز الدخول في مخاطرات أو معاملات ربوية.

٥- الاستهلاك المظهري الترفي الذي يمثل إسرافاً غير جائز، ولذلك فإن قرار الاستهلاك بالنسبة للمستهلك لا بد أن يدرس في علاقة هذا الاستهلاك بثواب الدنيا والآخرة[1].

❁ ❁ ❁

(١) الموسوعة العلمية والعملية، الجزء السادس ص٨٠، والاقتصاد في ضوء الإسلام، عدنان سعيد أحمد حسنين ص١٢.